١٢

مُشكِلَة أخذ الخليل بن أحمَد الفَرَاهِيدي مِن أبي جَعفَر الرُّؤاسي

the problem of Al- Khalil bin Ahmed Al – Farahidi taking from Abu Jaafar Al – Rawasi

م.م. حنين علي حسين

جامعة الكرخ للعلوم / الرئاسة

Haneen.ali@kus.edu.iq

م.م. صابرين علي حسين

جامعة بغداد / كلية الهندسة / قسم الهندسة البيئية

Sabreen.hussain@coeng.uobaghdad.edu.iq

الخلاصة

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ على خيرِ خلقِ اللهِ نبيّنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومَن تَبِعَ هُداه إلى يومِ الدين.

وبعدُ : لقد حظيتْ عُلومُ اللغةِ العربيّة باهتمام الدارسين والباحثين، وفي مقدَّمتها علم اللغة والنحو؛ لأهميتها في حياتنا اليومية ، واهتموا أيضًا بالمدرسة البصريّة والكوفيّة وغيرها الكثير؛ لِعِنَايَتِها بدراسةِ الآراء النحويّة ، والأوجه الاعرابية، ومَن أخذَ مِن مَن؟ لذلك ارتأيتُ أن أدرسَ في هذا البحث (مُشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي) ، وقد بدأتُ هذا البحث بمُقَدِّمة وثلاثة محاور ، المحور الأوّل : تحدَّثتُ فيه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والمحور الثاني : تحدَّثتُ فيه عن أبي جعفر الرؤاسي ، والمحور الثالث : تكلَّمتُ فيه عن مشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي وعن آراء العلماء والباحثين الذين نقلوا عن أبي جعفر الرؤاسي وعن كتابه (الفيصل) ، ثمَّ بذكر خاتمة لأهم النتائج التي توصلتُ إليها في هذا البحث .

الكلمات المفتاحية : أبو جعفر الرؤاسي ، الخليل ، العين ، الفيصل .

Abstract

The sciences of Arabic language have received the attention of students and researchers , especially linguistics and grammar for their importance in our daily lives , and they were also interested in the Basra and Kufa schools and many others with their interest in studying grammatical opini grammatical aspects , and who took from whom ? therefore , I decided to study in this research (the problem of Al- Khalil bin Ahmed Al – Farahidi taking from Abu Jaafar Al – Rawasi) and I began this research with an introduction and three axes , the first axis :I talked about Al – Khalil bin Ahmed Al-Farahidi , the second axis : I talked about Abu Jaafar Al-Rawasi , and the third axis :I talked about the problem of Al- Khalil bin Ahmed Al – Farahidi taking from Abu Jaafar Al – Rawasi and the opinions of scholars and researchers who quoted from Abu Jaafar Al- Rawasi and his book (AI- Faisal) , then I mentioned a conclusion of the most important results that I reached in this research.

Keywords : Abu Jaafar Al- Rawasi , Al- Khalil , Al Ain , Al Faisal.

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي علَّم الإنسان ما لم يعلم، وجعَلَ الكون كتابًا مفتوحًا للمتأملين والمتدبرين ، وجعلَ العربيةَ لسان القرآن ، وخصَّنا بها من سائر الأقوام ، ودعا المؤمنينَ إلى التّبصر والتّدبر والتّفكُّر في آياتِهِ التي لا يَحِدُّها حدٌّ ولا يَحصرها عدد فهو– سبحانه وتعالى – في كُلِّ شيء له آية ، والصَّلاةُ والسّلامُ على محمّدٍ بن عبد الله مدينة العلم ورسول الهداية وعلى آلِهِ وصحبِهِ وعلماء المعرفة ، وأصحاب العلم الذين سمعوا فوعوا ورأوا فوصفوا وسُئِلُوا فأجابوا ، فرضوان الله عليهم أجمعين.

وبعد ، فإنَّ مِن أهمِّ ما تفخرُ بِهِ أُمَّتُنا العربيّةُ هو تراثُها الغنيُّ في كلِّ مجالات العلوم، ومن أبرز ما ورثناه هو تراث علوم اللغة العربيّة ، فهناك مصنَّفات كثيرة في اللغة العربيّة تدلُّ على نُضْجٍ فكريّ ، وعقليّة فذَّة ، وذوق أدبي جميل اتَّصفَ بِهِ علماءُ العربيّة الذين ألَّفوا في هذا المجال في مُختلفِ العصور ، ففي كلِّ زمانٍ يظهرُ حُذّاقٌ يمتلكون القدرات الفائقة ، والنظرات الثاقبة في التحليل والاستنباط والاجتهاد ، فخدموا بما أُوتوا من علمٍ وتبصُّرٍ هذهِ اللغةَ العربيّةَ التي باركها الله تعالى بأنْ خصَّها بأسرار الجمال والجلال .

وكان هدفي في هذا البحث هو بيان آراء العلماء حول مشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي ؛ لأنَّه أمرٌ يحتاج إلى وقفةٍ وتدبّرٍ وتأمُّلٍ ؛ لأنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي عالمٌ معروف من علماء البصرة ، والرُّؤاسي عالِمٌ معروف من علماء الكوفة .

ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث أنَّ كتاب (الفيصل) لأبي جعفر الرؤاسي غير موجود، فكان من الصعب الرجوع إليه لبيان هل هناك آراء أخذها الخليل بن أحمد الفراهيدي وضمها في كتابه (العين) .

وقد قسَّمتُ هذا البحث على ثلاثة محاور ، المحور الأوَّل : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، والمحور الثاني : أبو جعفر الرُّؤاسي ، والمحور الثالث : مشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرُّؤاسي ، وعرضتُ بعض أقوال العلماء الذين نوَّهُوا إلى هذا الأمر كالكسائي والفراء وغيرهم ، وآراء بعض من الباحثين الذين تناولوا نشأة الدرس النَّحوي في الكوفة كالدكتور مهدي المخزومي والدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني.

وقد اختتمتُ هذا البحث بخاتمة ضمَّت أهمَّ النتائج التي توصَّلتُ إليها في أثناء بحثي

وبعد ، فإن يكُنْ في هذا العمل مِن خيرٍ فبتوفيقٍ مِنَ الله ، وإنْ يكُنْ فيهِ زللٌ فمن سهوي، وحسبي أنِّي قد اجتهدتُ ومِنَ اللهِ التوفيق .

المحور الأوّل : الخليل بن أحمد الفراهيدي

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصري الفرهودي الأزدي (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٤٨) (الأنباري ، ١٩٨٥ ، ٤٥) ، وكان يونس يقول : الفُرهودي مثل فُردُوس ، وهو حيٌّ من الأزد ، ولم يُسَمَّ أحدٌ بأحمد من بعد رسولِ اللهِ (صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم) قبل والده ، وكان الخليل بن أحمد ذكِيًّا فَطِنًا شاعِرًا ، واستنبطَ مِنَ العروضِ وعللِ النَّحو ما لم يسبِقهُ إلى مثله سابق ، وهو القائل:

اعمَل بعلمي ولا تنظر إلى عَمَلي ينفَعُكَ عِلمي ولا يضررْك تَقصيري

(الزبيدي ، د.ت ، ٤٧).

وكَتَبَ إليهِ سُليمَان بن علي الهاشمي يستدعيه إلى صحبتِهِ ، وبَعَثَ إليهِ بِطُرَفٍ وكسا ومال وفاكهة ، فقبل الفاكهة وردَّ ما سوى ذلك ، وكتَبَ إليه :

ابلغ سُليمَان أنّي عنه في سَعَةٍ وفي غِنًى غير أنّي لستُ ذا مالِ

وذكر عن شيوخ البصرة أن ابن المقفع اجتمع مع الخليل بن أحمد ، فتذاكرا ليلة تامَّة ، فلما افترقا سُئِلَ ابن المقفع عن الخليل بن أحمد الفراهيدي فقال : رأيتُ رجُلًا عقله أكثرُ من علمِهِ ، وقيل للخليل بن أحمد الفراهيدي : كيفَ رأيتَ ابن المقفع ؟ فقال : رأيتُ رجُلًا علمه أكثر من عقلِهِ (الزبيدي ، د.ت ، ٤٧ . ٤٩) .

له من الكتب المصنَّفة كتاب (العين)، وهناك أيضًا كتاب (النغم) ، وكتاب (العروض) ، وكتاب (الشواهد) ، وكتاب (النقط والشكل) (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٤٨.٤٩).

توفي الخليل بن أحمد الفراهيدي (رحمه الله) سنة سبعين ومئة ، وقيل سنة خمس وسبعين ، وهو ابن أربع وسبعين سنة (الزبيدي ، د.ت ، ٥١).

المحور الثاني : أبو جعفر الرؤاسي.

هو محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي بن أخي معاذ الهراء(الأنباري ، ١٩٨٥ ، ٥٠) ، (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) ، (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٢) (السيوطي ، ١٩٩٨ ، ٣٨١/٢) (الداوودي ، د. ت ، ٢/ ١٣٤) ، ونعتوه بالكوفي وكان ينزل بالنيل فقيل له النيلي ، وكنيته أبو جعفر ، وترجم له مؤرخي التاريخ اللغوي باسم أبي جعفر الرؤاسي تارة (الحلبيّ ، د. ت ، ٢٤) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) (الداوودي ، د. ت ، ٢ / ١٣٤) ، ومحمد بن سارة (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١)(الأنباري ، ١٩٨٥ ، ٥٠) تارة أخرى ، وقيل له الرؤاسي نسبة إلى كبر رأسِهِ (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١) (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٢) (السيوطي ، ١٩٩٨ ، ٣٨١/٢) (الداوودي، د. ت ، ١٣٤/٢) (البغدادي ، ١٩٧٣ ، ١٣٢/١) ؛ لأنَّه كان كذلك ، أمّا النيلي نسبة

إلى بُليدَة قرب مدينة الحلة ، كان يخترقها خليج كبير يتخلَّج من الفرات حفره الحجاج بن يوسف وسماه : بنيل مصر (الحموي ، ١٩٩٥ ، ٣٣٤/٥).

قال التنوخي: عندما ذكر أبا جعفر الرؤاسي ((عنه أخذ جميع الكوفيين علم النَّحو ، وكان أخذه عن عيسى بن عمر)) (التنوخي ، ١٩٩٢ ، ١٩٤).

وقال ثعلب المُتَوَفَّى عام (٢٩١هـ) : كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفرَّاء ،وهو أوَّل من وضع من الكوفيين كتابًا في النحو ، وله من المؤلَّفات: كتاب (الفيصل) ، وكتاب (التصغير) ، وكتاب (معاني القرآن) ، وكتاب (الوقف والابتداء الكبير) ، وكتاب (الوقف والابتداء الصغير) (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١) (الداوودي ، د. ت ، ٢ / ١٣٤) (البغدادي ، ١٩٧٣ ، ١٣٢/١) .

أمّا وفاته فنرى الدكتور أحمد مكي الأنصاري في كتابه ((أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النحو واللغة)) كان قد عيّن زمن وفاة الرؤاسي عام ١٩٠هـ (الأنصاري ، ١٩٦٤ ، ١٢٥) ، ثُمَّ جعلها في عام ١٧٥هـ ، حين قال : ((أنَّ أبا عبيدة المتوفي سنة ٢١٠هـ أو سنة ٢١٥هـ على خلاف في ذلك مسبوق بالكسائي المتوفّى سنة ١٨٩هـ ، بل إنّهما مسبوقان معًا بأبي جعفر الرؤاسي المُتوفّى سنة ١٧٥هـ)) (الأنصاري ، ١٩٦٤، ٢٦٩).

ولعلَّ الدكتور يوسف أحمد المطّوع أخذ التأريخ الأوّل وهو ١٩٠هـ عن الدكتور أحمد مكي الأنصاري وذلك في كتابه (جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري) فذكر أنَّ وفاة الرؤاسي في عام مئة وتسعين ، لكنه عاد فذكر أنَّ وفاة الرؤاسي في عام مئة وسبعة وثمانين للهجرة (المطوع ، ١٩٧٦ ، ١٠٤، ١٤٢).

المحور الثالث : مشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي.

اجتمعت روايات المُؤرخين وأهل اللغة الذين ترجموا لأبي جعفر الرؤاسي على إمامته لأهل الكوفة في النحو ، وأنَّه كان بارعًا في العربية ، وأنَّ كثيرًا من علوم الكوفيين وقراءتهم مأخوذة منه ، وهو أوَّل من وضع من الكوفيين كتابًا في النحو ، وهو استاذ الكسائي والفرّاء (الداوودي ، د. ت ، ٢/ ١٣٤) (البغدادي ، ١٩٧٣ ، ١/ ١٣٢).

أمّا عن مسألة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي فقد صَرَّحَ أبُو جَعفَر الرُؤاسي نفسه بذلك فقال : ((بعثَ إليَّ الخليل يطلبُ كِتابي، فَبَعَثتُ بِهِ إليه فَقَرَأهُ وَوَضَعَ كِتَابَهُ)) (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٢) (البغدادي ، ١٩٧٣ ، ١/ ١٣٢) ، وكَشَفَ يَاقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) عن اسمِ كِتَابِ الرؤاسي فقال : ((وَكِتَاب الرُؤاسِي يُقالُ لَهُ : الفَيصَل)) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) وهذا الخبر نقله ياقوت الحموي عن الفراء.

وذكر يوسف اليغموري المُتوّفَّى عام (٦٧٣هـ) أنَّ الرؤاسي كان أستاذ الكسائي والفرّاء ، وأنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي طلب كتابه (الفيصل) ووضع كتاب (العين) ، وأنَّ كلّ موضع يقول فيه سيبويه قال الكوفي : فهو يعني الرؤاسي (اليغموري ، ١٩٦٤، ٢٧٩). .

وذكر الدكتور عبد الله الجبوري إنَّ هناك نصوص للكوفيين ذكرها سيبويه (ت ١٨٠هـ) في (الكتاب) تسقط رواية المؤرخينَ فهو لم ينقل عن الكوفيين إلّا في أربعة مواضع هي :

أوّلًا: ذكر في الجزء الثاني الصفحة ٣٩٩ أنَّ ناسًا ، وهم الكوفيون يقرؤونها : ((ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شيعَةٍ أيَّهم أشدُّ على الرَّحمَنِ عتيًّا)) (سورة مريم ، من الآية ٦٩) قال سيبويه: ((وهي لغة جيدة)) وذكر الدكتور عبد السلام محمد هارون في حاشية الكتاب أنَّ الكوفيين هم : عاصم وحمزة والكسائي.

ثانيًا : ذكر في الجزء الثالث صفحة ٥٤ قرأ أهل الكوفة : ((فَتُذَكِّرُ)) (سورة البقرة ، من الآية ٢٨٢) رفعًا فقط .

ثالثًا : ذكر في الجزء الرابع صفحة ٤٧٧ في قراءة قوله تعالى : ((تتذكرون)) قرأها أهل الكوفة ((تذكرون)) كما قلت تكلمون، وهي قراءة أهل الكوفة فيما بلغنا)) .

رابعًا : ذكر في الجزء الرابع صفحة ٤٠٩ مسألة في التصريف فقال : ((ولا ينبغي أن يكون في قول الكوفيين إلّا فيعلاً مكسور العين ، لأنَّهم يزعمون أنَّه فَيعلٌ ، وأنَّه محدود عن أصله)) . فسيبويه لم يذكر الرؤاسي لا بالنسبة ولا بالاسم (الجبوري ، ١٩٨٨، ٢٣.٢٢)، (الحديثي ، ١٩٧٤ ، ٤٤).

ومَا يُدرِينا أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي بِذَكَائِهِ وعِلمِهِ قد أفادَ مِن علمِ أبي جَعفَر الرُّؤاسي ورُبما رأى فيهِ نِدًّا لَهُ ، وكِلَاهُما أخذَ عن امامِ أهل البصرة في العربيّةِ والقِرَاءةِ وهو عيسى بن عمرو الثقفي المُتَوَفَّى عام ١٤٩هـ وهو من مشاهير علماء البصرة ، كانَ كثير السماع عن العربِ ، كثير الرواية عالِمًا بالنَّحو ، أخذَ عنهُ الخليل بن أحمد الفراهيدي ومَن هو في طَبَقَتِهِ ، وأخذَ عنهُ الرُؤاسي في البصرة ، وفي حلقَتِهِ التقى الخليل وغيره (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٨/٦) ، (السيوطي، د.ت ، ٢/ ٢٣٧. ٢٣٨) ، (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٢٧) .

وقد وجدتُ بعض من درس نشأة المذهب النحوي في الكوفة ، وعرضوا لأبي جعفر الرؤاسي ومكانته ومنهم الدكتور مهدي المخزومي في كتابه (الدرس النحوي في بغداد) فالدكتور مهدي المخزومي أرادَ أن ينفي مسألتين هما :

المسألة الأولى : رئاسة الرؤاسي للمدرسة الكوفية في النحو ، ويرى أنَّ الكسائي هو الذي رأس المدرسة الكوفية ، وبه عرف النحو بمعناه الاصطلاحي .

المسألة الثانية : التشكيك بكل الأخبار التي نقلت طرفًا من الحياة العلميّة للرؤاسي ، وقال عنها بأنَّها مفتعلة (المخزومي ، ١٩٧٥ ، ٢٠٧. ٢٠٨) ، (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٢٩).

وهذا أمرٌ غريب فالكسائي . على جلالةِ قدره . كان يرى في الرؤاسي أعلم أهل الكوفة بالنحو ، فيقول : ((ما وجدتُ بالكوفةِ أحدًا أعلم بالنحو من أبي جعفر الرؤاسي)) (القفطي ، ١٩٨٢ ، ٤/ ١٠٥) ، وقال أيضًا : ((كنتُ آخذ المسائل فأقدّمها وأُؤخرها ، فلا يحسنها أحد إلّا الرؤاسي)) (القفطي ، ١٩٨٢ ، ٤/ ١٠٦) ، ثُمَّ إنَّنا نجد تصديقًا لهذين الخبرين عند الكسائي نفسه أيضًا ، حيثُ يقول: ((حداني على النظر في النحو أني كنتُ أقرأ على حمزة الزيّات ، فتمرُّ بي الحجة ولا اتجه لها ، ولا أدري ما الجواب فيها ، فارجع إلى المختصر الذي عمله أهل الكوفة ، وكان يُسمّى هذا المختصر ((الفيصل)))) (الزجاجي ، ١٩٨٣، ٢٠٣).

ونرى الدكتور مهدي المخزومي رغم قول الكسائي الذي يدل على علو منزلة الرؤاسي في النحو يقول عن الهراء وابن أخيه الرؤاسي إلّا أنَّهما كانا مؤدبين فقط ، وذهب إلى أنَّ معرفتهما بالنحو ترجع في ذلك إلى تلمذتهما وسماعهما من بعض أعلام الدرس النحوي في البصرة (المخزومي ،

١٩٧٥ ، ٢٤٤) (المخزومي ، ١٩٥٨ ، ٩٨– ٩٩). وإنَّ كونهما مؤدبين لا ينقص هذا من شأنهما ، فالكسائي كان مؤدبًا للأمين والمأمون (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٠).

وحاول الدكتور مهدي المخزومي أن يُقَدِّمَ تفسيرًا لانقطاع الكسائي عن الرؤاسي فقال : ((غير أنَّ الكسائي لم يجد في علم أبي جعفر شيئًا ، فانقطع عنه وارتحل إلى البصرة)) (المخزومي ، ١٩٥٨، ٩٨. ٩٩).

وهو يعلم أنَّ الرحلة في طلب العلم أمرٌ معروف ، وخبر رحلة الكسائي إلى بوادي نجد والحجاز وتهامة مسألة مفروغ منها ، ثُمَّ أنَّ خروج الكسائي إلى بغداد كان أمرًا طبيعيًّا لما تمتعت به بغداد من مكانة عالية وكان الجميع يتمنى العيش فيها (المخزومي ، ١٩٥٨، ٩٨. ٩٩) ، (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣١).

ولعلَّ الدكتور مهدي المخزومي يُقِرُّ بفضل جهود أهل العربيّة الأوائل الذين سبقوا ظهور أعلام كبار أمثال : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، وسيبويه ، والكسائي ، والفرّاء ، وكانت حلقات دروسهم بمثابة الممهد لقيام أركان المدرسة الكوفية سواء أكان الكسائي هو الذي يترأسها أم الرؤاسي ، ولا يخفى على أحدٍ شهرة الكسائي والفرّاء وفي ضمور صيت شيخهما أبي جعفر الرؤاسي في حلقات الدرس في أروقة جوامع بغداد (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٢)

أما الدكتور الدجني في كتابه (ظاهرة الشذوذ في النحو العربي) فقد درس الفترة التاريخية لنشأة النحو الكوفي؛ لأنّها قضية جديرة بالدراسة ، ولأنَّها تُمثِّل فترة وضاءة في تاريخ لغتنا العربية الخالدة (الدجني ، ١٩٧٤ ، ٢٢٩) (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٣) ، وخلص في خاتمة دراسته لنشأة المدرسة الكوفية من خلال عرضه لأقوال المؤرخين إلى أنَّه لم يجد آراء نحوية تمثل تقدمة الرؤاسي في تأسيس المدرسة الكوفية في النحو ، هذا ولم يجد رأيًا نحويًا واحدًا ذُكِرَ عن الرؤاسي أو معاذ الهراء ، وإنَّ الذي يمثل النحو الكوفي تمثيلًا دقيقًا هو الكسائي وتلميذه الفرّاء ؛ لأنَّهما كوَّنا منهجًا متباينًا عن نحو البصرة (الدجني ، ١٩٧٤ ، ٢٣٠. ٢٣١) ، (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٣ . ٣٤).

وقوله أنَّ الرؤاسي كان يُعلِّم النحو في الكوفةِ ((ليس ابتكارًا منه ، وإنَّما كان يُعلِّم نحو البصرة)) (الدجني ، ١٩٧٤، ٢٣١) (ضيف ، د. ت ، ١٥٣. ١٥٤) (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٤).

وَتَقِف رِوَايَة المُبَرِّد أنَّ الرؤاسي ((صَنَّفَ كِتَابًا في النَّحو فدخلَ البصرة لِيَعرِضَهُ على أصحَابِنَا فَلَم يَلتَفِتْ إليهِ ، أو لَم يَجسَر على اظهَارِهِ لما سَمِعَ كلامهم)) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٧/٦) (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٣) (الداوودي ، د. ت ، ٢/ ١٣٤)، شاهدًا قويًّا على ردِّ قول الدجني : بأنَّ الرؤاسي كان يعلم النحو في الكوفة ليس ابتكارًا منه ولكن كان يعلم نحو البصرة (الدجني ، ١٩٧٤، ٢٣١) ، وعلَّق الدكتور عبد الله الجبوري على رأي الدكتور الدجني فقال : كيف تهدى الاستاذ الدجني إلى هذا القول وأين وجد سنده فلو قال أنَّ الرؤاسي أفاد من جهد البصريين في النحو وخلطه بالجهد النحوي الكوفي لأصاب (الجبوري ، ١٩٨٨ ، ٣٦).

وقول المبرّد أنَّ أبا جعفر الرؤاسي ألَّف كتابًا في النحو وهو (الفيصل في العربية) فكيف يكون للخليل بن أحمد الفراهيدي قد أخذ منه في تأليف كتاب (العين) ونحنُ نعلم أنَّ معجم (العين) في اللغة ؟!

والواضح هو أنَّ الرؤاسي أستاذ علماء الكوفة وهو أوّل من ألّف منهم كتابًا في العربية ، وهو ابن اخ معاذ الهراء ، فأخذ من عمه ، ثمَّ أخذَ من عيسى بن عمرو وهو من تلامذة أبي الأسود ، وهو الذي رسم للكوفيين الحدود التي عملوا عليها وخالفوا بها البصريين ، ثمَّ استفاض نحو الكوفيين وتوسَّع في زمن تلميذه الفرّاء (الرافعي ، د. ت ، ٢٦٥/١).

وبهذا نرى أنَّ الخِلَافَ الذي وَقَعَ بينَ أبي جَعفَر الرُؤاسي وبينَ رِجَال البصرة ممثلًا في مُنَافَسَتِهِ لهم ، حيثُ حمَل كتاب (الفيصل) في دخلته الثانية للبصرة، على رواية المبرد (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٧/٦) ، وخبره مع الخليل ليس بالأمر الهيّن ، وهذا كله يفسر قول أبي حاتم السجستاني : ((كان بالكوفة نحويّ يُقال له أبو جعفر الرؤاسي ، وهو مطروح العلم ليس بشيء)) (الحلبيّ ، د.ت ، ٢٤)، هذا امرٌ والأمرُ الآخر ما ذكره ياقوت : ((وقلَّ مَقَامَهُ بالكوفة ، فلذلك قلَّ أخذ النّاسِ عنه)) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٧/٦) ، فإذا كانَ الرؤاسي ((صَنَّفَ كِتَابًا في النَّحو فدخلَ البصرة لِيَعرِضَهُ على أصحَابِنَا فَلَم يَلتَفِتْ إليهِ ، أو لَم يَجسَر على اظهَارِهِ لما سَمِعَ كلامهم)) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٧/٦) ،(السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٣) ، فكَيفَ يَقُول : ((بَعَثَ إليَّ الخليل يَطلُبُ كِتَابي ، فَبَعَثتُ بِهِ إلَيه فَقَرَأهُ ووَضَعَ كِتَابَهُ)) (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) (اليغموري ، ١٩٦٤ ، ٢٧٩) (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٣).

فإذا كان الرؤاسي لم يتجرأ على إظهار كتابه (الفيصل) في البصرة وهو حاضر بينهم ؛ لكي يُجادلهم ويدافع عن آرائه ويُجيب عن استفساراتهم ، فكيفَ يبعثُ بكتابِهِ إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي وهو معروف بذكائهِ وعلمِهِ الوفير؟! وكان المبرّد قد قال : ((ما عرف الرؤاسي في البصرة)) (الداوودي ، د. ت ، ١٣٤/٢) ، ورُبما أراد أبو جعفر الرؤاسي من قوله : أنَّ الخليل أخذ من كتابه (الفيصل) لكي يجعل الناس تهتم بكتابِهِ وينظرون إليه نظرة جليّة رغم أنَّ كتاب (الفيصل) كان معروفًا وقد ذاع صيته ... والله أعلى وأعلم.

وأرى أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي لم يأخذ من كتاب (الفيصل) لأبي جعفر الرؤاسي لأسباب منها:

١. أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي كانَ قد اطَّلعَ على كتب كثير من العلماء ، فقال: ((وجدتُ في بعض كتب العلماء : ما أظهر حياء في التماس العلم وقعد عن لبس الجهل ، وتقنَّعَ قناع السَّفَه، ومَن امتَدتْ له أيامه في غُلوَاء جهله حُشِرَ يوم القيامة أعمى)) (الزبيدي ، د.ت ، ٤٨)، وقول الخليل بن أحمد الفراهيدي هذا يدل بأنّه كان يطَّلع على كتب العلماء ولكن ليس ليأخذ من علمِهِم وإنَّما لِحب الاطِّلاع والمعرفة ، ولوكان كذلك لقال العلماء الذين اطلع الخليل بن أحمد الفراهيدي على مؤلفاتهم بأنّه أخذ منهم أيضًا، ويدلُّ ذلك على أنَّ الخليل كان فعلًا قد بعث إلى أبي جعفر الرؤاسي يطلب منه كتابه)) (ابن النديم ، ١٩٧١ ، ٧١) (الحموي ، ١٩٩٣ ، ٢٤٨٦/٦) (السيوطي، د.ت ، ١/ ٨٢) (البغدادي ، ١٩٧٣ ، ١/ ١٣٢) ، ولكن ليس ليأخذ منه وإنَّما للاطِّلاع وحُب المعرفة .

٢. إذا كان الخليل بن أحمد الفراهيدي قد أخذ فعلًا من كتاب أبي جعفر الرؤاسي (الفيصل) هل يوجد في كتاب الخليل بن أحمد الفراهيدي (العين) ما يدلُّ على أنَّه أخذ من كتاب (الفيصل) لأبي جعفر الرؤاسي ، وإذا كان كتاب (الفيصل) في النحو ، وكتاب (العين) في اللغة كيف يأخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي؟!

٣. كما أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي كان تقِيًّا زاهِدًا ولو أنَّه أخذ من كتاب أبي جعفر الرؤاسي لكان قد أشار إليه ؛ لأنَّها تُعَدُّ سرقة علميّة ولا أظنُّ أنَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي يرضى بذلك. ويقول الخليل بن أحمد الفراهيدي : ((إنّي أدركتُ بعض ما أنا فيه من العلم باطِّراح الحِشْمة بيني

وبين المعلمين، وبإلقائي الستر بيني وبين الذين كنتُ ألتمس ما عندهم . ومن رَقَّ وجهُهُ عن طلب العلم ؛ رقَّ علْمه)) (الزبيدي ، د.ت ، ٤٨)، أي أنّه يُقِرُّ بأنّه وصلَ إلى هذه الدرجة من العلمِ والمعرفةِ مِن خلالِ الاطِّلاع على بعض مؤلَّفات العلماء.

الخاتمة

إنَّ كُلًّا من الخليل بن أحمد الفراهيدي وأبي جعفر الرؤاسي يُشكلانِ قطبي الدّرس النّحوي ، فالخليل بن أحمد الفراهيدي عالم من البصرة ، والرؤاسي عالم من الكوفة سواء أكان هو المؤسس الحقيقي للدرس النحوي في الكوفة أم الكسائي .

وقد ذكرنا قول الكسائي سابقًا مُقِرًّا بسيادة أستاذه الرؤاسي في الدرس النّحوي في الكوفة ، أما مُشكلة أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من أبي جعفر الرؤاسي تبقى يشوبها الضباب ؛ ويعود السبب في ذلك إلى ضياع كتاب (الفيصل)، ولم يصل إلينا ؛ ولو كان بين أيدينا الآن لقمنا بالمطابقة بينه وبين كتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي للتأكد هل أخذ الخليل بن أحمد الفراهيدي من كتاب (الفيصل) أم لا؟

والله أعلى وأعلم رُبما تظهر لنا مخطوطات ترفدنا ببعض أقوال العلماء عن حقيقة هذا الأمر لأنّه فعلًا يستحق الاهتمام والدراسة وكتابة رسائل وأطاريح فيه .

وأرجو من الله . سبحانه وتعالى . أن تكون زلاتي معدودة وهفواتي بسيطة فما أنا إلّا مجتهدة حاولت أن تقول شيئًا فإن وُفِقتُ فذلك مبتغاي ، وإن أخفقتُ فحسبي رضا الله وأجره.

المصادر

. ابن النديم ، محمد بن أبي يعقوب اسحق بن محمد بن اسحق الوراق أبو الفرج (١٣٩١هـ . ١٩٧١م) ، *الفهرست* ، تحقيق رضا تجدُّد ، د. ط ، طهران . إيران.

. الأنباري ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري أبو البركات كمال الدين (١٤٠٥هـ . ١٩٨٥م) ، *نزهة الالباء في طبقات الأدباء* ، تحقيق إبراهيم السامرائي ، ط ٣ ، مكتبة المنار ، الزرقاء . الأردن.

. الأنصاري ، أحمد مكي الانصاري (١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م) ، *أبو زكريا الفرّاء ومذهبه في النَّحو واللغة* ، ط ١، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب . القاهرة.

. البغدادي ، عبد القادر بن عمر (١٣٩٣هـ . ١٩٧٣م) ، *شرح أبيات مغني اللبيب* ، تحقيق عبد العزيز رباح ، أحمد يوسف دقاق ، ط ٢ ، دار المأمون للتراث . بيروت.

. التنوخي ، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر (١٤١٢هـ . ١٩٩٢م) ، *تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم* ، تحقيق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٢ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان . القاهرة.

. الجبوري ، عبد الله (١٩٨٨) ، *أبو جعفر الرؤاسي نحوي من الكوفة* ، ط ١ ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية . بغداد.

. الحديثي ، خديجة (١٩٧٤) ، *سيبويه حياته وكتابه* ، د. ط ، وزارة الاعلام . بغداد.

. الحلبيّ ، أبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (د. ت) ، *مراتب النحويين* ، حققه وعلَّق عليه محمد أبو الفضل ابراهيم ، د. ط ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، الفجالة . القاهرة.

. الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (١٤١٤هـ . ١٩٩٣م) ، معجم *الأدباء* ، تحقيق احسان عباس ، ط ١ ، دار الغرب الاسلامي . بيروت .

. الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (١٩٩٥) ، معجم *البلدان* ، ط ٣ ، دار صادر بيروت.

. الداوودي ، محمد بن علي بن أحمد شمس الدين (د. ت) ، *طبقات المفسرين* ، د. ط ، دار الكتب العلمية . بيروت.

. الدجني ، فتحي عبد الفتاح (١٩٧٤) ، *ظاهرة الشذوذ في النحو العربي* ، د. ط ، وكالة المطبوعات . الكويت.

. الرافعي ، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر (د. ت)، *تاريخ آداب العرب* ، د. ط ، دار الكتاب العربي.

. الزبيدي ، محمد بن الحسن بن عبيد الله أبو بكر (د.ت) ، *طبقات النحويين واللغويين* ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط٢ ، دار المعارف.

. الزجّاجي ، عبد الرحمن بن اسحاق البغدادي أبو القاسم (١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م) ، *مجالس العلماء* ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، مكتبة الخانجي . القاهرة ، دار الرفاعي . الرياض.

. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (١٤١٨هـ . ١٩٩٨م) ، *المزهر في علوم اللغة وأنواعها* ، تحقيق فؤاد علي منصور ، ط ١ ، دار الكتب العلميّة . بيروت.

. السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (د.ت) ، *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة* ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، د.ط ، المكتبة العصرية ، لبنان.

. ضيف ، أحمد شوقي عبد السلام (د.ت)، *المدارس النحوية* ، د. ط ، دار المعارف.

. القفطي ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف (١٤٠٦هـ . ١٩٨٢م)، *إنباه الرواة على أنباه النحاة* ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، ط ١ ، دار الفكر العربي . القاهرة ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

. المخزومي ، مهدي (١٣٧٧هـ . ١٩٥٨م) ، *مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو* ، ط ٢ ، مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر.

. المخزومي ، مهدي (١٩٧٥) ، *الدرس النحوي في بغداد* ، ط ١، وزارة الأعلام العراقية . بغداد.

. المطوع ، يوسف أحمد (١٩٧٦) ، *جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري* ، ط ١ ، مطبعة الكويت . الكويت.

. اليغموري ، أبو المحاسن يوسف بن أحمد بن محمود الحافظ (١٣٨٤هـ . ١٩٦٤م) ، *نور القبس المختصر من المقتبس في أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء* ، عُنِيَ بتحقيقه رودلف زلهايم، يطلب من دار النشر فرانتس شتاينر بفيسبادن .